

الإستيطان الصهيوني في فلسطين حتى العام ١٩٤٨

باحث

عصام سمير فتحي دلول

تمهيد

المستوطنات اليهودية في فلسطين

للإستيطان الصهيوني أهمية بالغة في الفكر الصهيوني، وقد هدف الكيان الصهيوني من وراء هذا الاستيطان على وضع حقائق على الأرض تفرض نفسها في أي مفاوضات مع أي طرف في النزاع العربي الإسرائيلي إضافة إلى الدوافع الاقتصادية، والمائية والأمنية، كانت الدوافع التاريخية والدينية المزعومة هدفا لإقامة المستوطنات.

تميزت ظاهرة الاستيطان الصهيوني في فلسطين عن غيرها من التجارب الاستيطانية القديمة والحديثة من خلال ارتباط هذه الظاهرة بالعنف والاستيلاء على أراض مملوكة لأصحابها الشرعيين بالقوة، مع التخطيط المسبق لطرد هؤلاء السكان واستئصال حضارتهم والقضاء على وجودهم" ، فالاستعمار الاستيطاني اليهودي قام على أسس استعمارية وعنصرية تخالف مبادئ القانون الدولي والعهود والمواثيق والاتفاقات الدولية.

في بادئ الأمر قامت الحركة الصهيونية بمساعدة بريطانيا والولايات المتحدة ببناء القاعدة الديمغرافية اليهودية في فلسطين العربية، واتصف سلوك المستوطنين تجاه سكان فلسطين الأصليين وأصحابها الشرعيين بالإرهاب والعنصرية من أجل ترحيلهم والقضاء عليهم ودفعهم إلى الرحيل من وطنهم فلسطين إلى البلدان العربية المجاورة، حيث شكل الاستيطان عنصراً رئيسياً من عناصر إقامة دولة اليهود في فلسطين العربية، باعتباره وسيلة عملية تهدف إلى تهويد فلسطين وإقامة الكيان الاستيطاني فيها وتزويده باستمرار بالعنصر البشري لتقوية طاقاته العسكرية والاقتصادية والبشرية.

وتبحث هذه الدراسة في موضوع الاستيطان الصهيوني والذي يعتبر ركنا أساسيا في السياسة الصهيونية والإسرائيلية تجاه الشعب الفلسطيني، فقد بذلت الحركة الصهيونية جهودا حثيثة لتطوير وزيادة الاستيطان الصهيوني قبل عام ١٩٤٨ وبعده، وقد أقيمت نقاط ومراكز استيطانية على أجزاء من الأراضي التي استولت عليها المنظمات الصهيونية بمساعدة سلطات الانتداب، وقد كانت هذه المستوطنات بمثابة مواقع عسكرية وكيانات إرهابية ضد المواطنين الفلسطينيين قبل وأثناء حرب ١٩٤٨ ، وبالرغم من أن المقاومة الفلسطينية لهذا الاستيطان استمرت بعدة طرق وأساليب وعلى أكثر من جهة، إلا أنها لم تستطع كبح الهجرة اليهودية أو وقف الأنشطة الاستيطانية في الأراضي الفلسطينية والتي كان هدفها التأسيس لإقامة دولة الكيان الصهيوني.

تعني دارستنا بتاريخ الاستيطان الصهيوني حتى عام ١٩٤٨ ، والذي دفعني لإعداد هذه الدراسة هو إدراكي لمخاطر الاستيطان الصهيوني الذي كان النواة الأولى للمشروع الصهيوني، حيث ساهم لاحقا وبشكل كبير في تأسيس دولة الكيان الصهيوني وتوسعها، وكما أن نقص الدراسات السابقة حول الاستيطان وتحديدًا قبل عام ١٩٤٨ شكل لنا دافعا أخرا لإنجازها.

وانطلاقا مما سبق تأتي هذه الدراسة، والتي تعتمد على المنهج التاريخي لوصف نشأة وتطور ظاهرة الاستيطان الصهيوني قبل عام ١٩٤٨ وتنقسم الدراسة إلى ثلاثة مباحث يتناول الأول الاستيطان في الفكر الصهيوني، ويتناول الثاني مراحل الاستيطان الصهيوني في فلسطين ويختص تحديدا في دراسة الاستيطان في عهد الحكم العثماني والانتداب البريطاني، ويتناول الثالث الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وردود الفعل الفلسطينية والعربية على الهجرة والاستيطان حتى عام ١٩٤٨ ، ثمة خاتمة الدراسة.

المبحث الأول

أولا: الاستيطان في الفكر الصهيوني

بما أن موضوع الدراسة حول الاستيطان فلا بد من العرض الموجز عن الاستيطان في الفكر الصهيوني، لإيضاح أهمية الاستيطان لدى بعض المفكرين والقادة الصهاينة والذين كان لهم دور ريادي في نشأة الاستيطان الصهيوني وتطوره، لتكون الصورة واضحة ومساعدة في تحليل تطور الاستيطان الصهيوني عبر الفترة التاريخية التي تتعرض لها هذه الدراسة .

تتمثل أسطورة الاستيطان الصهيوني في زعم المفكرين والقادة الصهاينة أن فلسطين هي الكيان الصهيوني أو صهيون" وأن تاريخها قد توقف تماما برحيل اليهود عنها ، بل أن تاريخ اليهود أنفسهم قد توقف هو الآخر برحيلهم عنها ، ولن يستأنف هذا التاريخ إلا بعودتهم إليها فهو تاريخ مقدس" ، وقد جسدت الحركة الصهيونية في فلسطين العقيدة التوراتية في طرحها للاستيطان ، حيث حولت ممارساتها العملية لاستعمارها الاستيطاني في فلسطين إلى مفهوم توراتي "عودة الشعب إلى أرض الميعاد" وبذلك يتم استقبال المهاجرين المستوطنين اليهود إلى فلسطين كمهاجرين إلى أرض الكيان الصهيوني .

يمثل هؤلاء المهاجرون توطين استيطاني كولونيالي، بمعنى قيام جماعات اليهود الأجنبية باستيطان أرض فلسطين وممارستهم السلطة فوق تلك الأرض على من كان ولا يزال فيها من السكان الفلسطينيين"لأن الأيدلوجية الصهيونية في فلسفتها الخاصة قامت على أساس نفي الآخر واقتلعه، لا التعايش مع أو القبول بوجوده، وعليه فإن غايتها في البدء أو النهاية هي الإجلاء والإحلال وإزاحة الفلسطيني لتوطين هؤلاء المهاجرين مكانهم" ، لقد واكب الاستيطان الصهيوني في فلسطين منذ البداية ظواهر التعالي القومي تجاه المواطنين المحليين حيث ساد بينهم الرأي القائل بان العربي يحترم الآخرين إذا فهم لغة واحدة هي القوة، فقد ارتبطت الصهيونية بالاستيطان باعتباره جزءا منها وأساسا مهما في مشروعها، إذ قامت على ثلاثة

أسس متكاملة" ، الأول أن اليهود رغم انتمائهم للعديد من الدول والمجتمعات يمثلون قومية واحدة تتميز بصفات عرقية سامية ، والثاني أن علاقة اليهود مع الشعوب الأخرى تقوم على العداة والصراع تلخصها ظاهرة معاداة السامية ، والثالث إن مشكلة اليهودية لا حل لها إلا بإقامة دولة يهودية ، وإن هذه الدولة تتمثل في ارض الميعاد و الاستيطان فيها ، وأساس ذلك "إذا كان هناك من شعب مختار فثمة أيضا أرض مختارة ، فالأصل في استمرار الصهيونية لا يكون إلا من خلال استمرار الاستيطان في فلسطين" .

فالبرامج الاستيطانية الصهيونية جاءت لإقامة المستعمرات اليهودية على الأراضي الفلسطينية تحت تبريرات دينية وتاريخية مفادها أن هناك حقوقاً تاريخية ودينية يهودية على أرض فلسطين ، وهذه الحقوق هي التي وعد بها الرب الشعب اليهودي، وقد تطور هذا المفهوم فيما بعد إلى جعل إقامة المستعمرات أداة لتعزيز أمن دولة الكيان الصهيوني بعد قيامها عام ١٩٤٨ ، ولتأكيد ذلك يقول عضو الكنيست الإسرائيلي السابق يشعياهو بن فورت في صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية "إن الحقيقة هي لا صهيونية بدون استيطان، ولا دولة يهودية بدون إخلاء العرب ومصادرة أراضي وتسييجها" .

فالاستيطان الإسرائيلي هو التطبيق العملي للفكر الاستراتيجي الصهيوني الذي انتهج فلسفة أساسها الاستيلاء على الأرض الفلسطينية، بعد طرد سكانها الفلسطينيين بشتى الوسائل بحجج ودعاوي دينية وتاريخية باطلة، وترويج مقولة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، وجلب أعداداً كبيرة من اليهود من مختلف أنحاء العالم، وإحلالهم بدلاً من العرب الفلسطينيين، بهدف إقامة دولة يهودية في المنطقة العربية.

ويتضح من كل ما سبق إن إقامة المستعمرات والاستيطان على الأرض الفلسطينية يمثل حجر الزاوية في الإيديولوجية الصهيونية وذلك للأهمية العظمى التي ينطوي عليها الاستيطان وتكمن هذه الأهمية في عدة جوانب ديمغرافية وأمنية وسياسية واقتصادية ومائية وطائفية، فأقامة المستعمرات يعمل على جلب المزيد من المهاجرين اليهود وبالتالي تهويد الأرض الفلسطينية، فمنذ أن جاءت حركة الاستعمار الاستيطاني في أواخر القرن التاسع عشر، تمكن المستوطنون اليهود من السيطرة على المناطق الإستراتيجية والموارد المائية، بالإضافة إلى السيطرة على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الخصبة وبمساعدة المؤسسات الصهيونية من جهة، ودعم بريطانيا من جهة أخرى، أمكن للمهاجرين اليهود من السيطرة على المقدرات الاقتصادية لفلسطين، مثل شركات الكهرباء والماء والشركات الزراعية الصناعية وغيرها.

ثانياً: بداية الاستيطان اليهودي في فلسطين

بدأت فكرة الاستيطان في فلسطين ، تلوح في الأفق، بعد ظهور حركة الإصلاح الديني على يد مارتن لوتر في أوروبا، حيث بدأ أصحاب المذهب البروتستانتي الجديد بترويج فكرة تقضي بأن اليهود ليسوا جزءاً من النسيج الحضاري الغربي، وإنما هم شعب الله المختار، وطنهم المقدس فلسطين ، يجب أن يعودوا إليه ، وكانت أولى الدعوات لتحقيق هذه الفكرة ما قام به التاجر الدنماركي أوليغربولي عام ١٦٩٥ ، الذي أعد خطة لتوطين اليهود في فلسطين ، وقام

بتسليمها إلى ملوك أوروبا في ذلك الوقت، وفي عام ١٧٩٩ ، و كان الإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت أول زعيم دولة يقترح إنشاء دولة يهودية في فلسطين أثناء حملته الشهيرة على مصر و سوريا .

واشتدت حملة الدعوات للمشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين في القرن التاسع عشر، حيث انطلقت هذه الدعوات من أوروبا مستغلة المناخ السياسي السائد حول الأطماع الاستعمارية الأوروبية في تقسيم ممتلكات الرجل المريض "الدولة العثمانية" والتي عرفت حينئذ بالمسألة الشرقية، وقد تولى أمر هذه الدعوات عدد من زعماء اليهود وغيرهم، أمثال: اللورد شاتسبورني، الذي دعا إلى حل المسألة الشرقية عن طريق استعمار اليهود لفلسطين ، بدعم من الدول العظمى ساعده في ذلك اللورد بالمرستون "١٨٥٦-١٧٨٤" ، الذي شغل عدة مناصب منها، وزير خارجية بريطانيا، ثم رئيس مجلس وزرائها حيث قام بتعيين أول قنصل بريطاني في القدس عام ١٨٣٨ وتكليفه بمنح الحماية الرسمية لليهود في فلسطين ، كما طلب من السفير البريطاني في القسطنطينية بالتدخل لدى السلطان العثماني للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين .

وبعد ظهور الحركة الصهيونية كحركة سياسية عملية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، سعت هذه الحركة إلى السيطرة على الأراضي الفلسطينية، وكان من أبرز نشاطاتها لورنس أوليفانت ١٨٨٨-١٨٢٠ والذي كان عضواً في البرلمان الإنجليزي، وعمل أيضاً في السلك الدبلوماسي الإنجليزي، اعتقد بضرورة تخليص اليهود من الحضارة الغربية بتوطينهم في فلسطين ، وذلك بإدخالهم كعنصر لإنقاذ الدولة العثمانية من مشاكلها الاقتصادية، لما يتمتع به اليهود من ذكاء في الأعمال التجارية ومقدره على جمع الأموال، ومن أجل ذلك قام في عام ١٨٨٠ م بنشر كتاب بعنوان أرض جلعاد اقترح فيه إنشاء مستوطنة يهودية شرقي الأردن شمال البحر الميت، لتكون تحت السيادة العثمانية بحماية بريطانية، وكذلك شجع استعمار اليهود في فلسطين والمناطق المجاورة عن طريق إقامة مستعمرات جديدة ومساعدة القائم منها .

وبالإضافة إلى أوليفانت حاول العديد من زعماء اليهود في القرن التاسع عشر القيام بمشاريع لتوطين اليهود في فلسطين ،ومن بين هؤلاء مونتفيوري (١٧٨٤ - ١٨٨٥) الذي حاول استئجار ٢٠٠ قرية في الجليل لمدة ٥٠ عاماً مقابل ١٠%-٢٠% من إنتاجها، إلا أن هذه المحاولة فشلت أمام رفض الحاكم المصري لبلاد الشام آنذاك، ثم نجح في الحصول على موافقة السلطان العثماني بشراء عدد من قطع الأراضي بالقرب من القدس ويافا، واسكن فيها مجموعة من العائلات اليهودية، إلا أن هذه الخطوة أخفقت أيضاً تحت تحفظ السلطات العثمانية لمشاريع الاستيطان في فلسطين ،كما بذل وليم هشر جهوداً في جمع تبرعات مادية وإرسالها إلى الجمعيات الصهيونية لتشجيع الاستيطان في فلسطين تحت الحماية البريطانية" .

أما المبشرون الأمريكيون فقد ساهموا في عودة اليهود إلى فلسطين ففي عام ١٨١٤ وقف القس جون ماكدونالد راعي الكنيسة المسيحية داعياً إلى أن اليهود يجب أن يعودوا إلى أرض صهيون ، ولقد تبعه العشرات من المبشرين الذين دعوا إلى نفس الفكرة ففي النصف الأول من القرن التاسع قام أحد قادة البروتستانت بالهجرة إلى فلسطين وأنشأ هناك مستوطنة زراعية يهودية لتدريب المهاجرين اليهود على الزراعة ، وكذلك قامت السيدة كلواندا مانيور زوجة أحد كبار التجار وهي من البروتستانت مجموعة من رجال الدين المسيحي للهجرة إلى فلسطين عام

١٨٥٠ وملكت مساحات شاسعة من الأراضي وهبتها لإقامة المستوطنات اليهودية وهكذا ساعد البروتستانت اليهود في دخول فلسطين ، و قام الاتحاد الإسرائيلي العالمي (الليانس) الذي تأسس عام ١٨٦٠ باستئجار ٢٦٠٠ دونم لمدة ٩٩ عاماً، أقيمت عليها مدرسة زراعية بدعم من البارون روتشيلد لتدريب اليهود المهاجرين على الزراعة.

وفي عام ١٨٧٠ تم تأسيس مستوطنة (مكفا إسرائيل) وتعنى أمل الكيان الصهيوني في لواء القدس والتي أنشأت مدرسه كانت تهدف إلى تزويد المستوطنين اليهود بالخبرة الزراعية وتقديم التسهيلات لهم. هذا ويعتبرها المؤرخون اليهود أول مستوطنه زراعية يهودية في فلسطين .

في عام ١٨٧٨ قامت مجموعة من اليهود بشراء ٣٣٧٥ دونم من أراضى قرية ملبس وتم تسجيلها باسم النمساوي سلومون، واستمرت المحاولات اليهودية للسيطرة على الأراضي الفلسطينية حتى عام ١٨٨١ الذي يعتبره المؤرخ اليهودي والترلاكور بداية التاريخ الرسمي للاستيطان اليهودي في فلسطين بعد أن وصل حوالي ٣٠٠٠ يهودي من أوروبا الشرقية، تمكنوا من إنشاء عدد من المستوطنات في الفترة من ١٨٨٢ - ١٨٨٤ ، وتوالت فيما بعد عمليات الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية بشتى الوسائل منها الشراء أو الاستئجار لمدة طويلة ، وقد لعبت المؤسسات اليهودية التي أنشئت لهذا الغرض ومن بينها: منظمة بيكا التي أسسها روتشيلد، والوكالة اليهودية التي انبثقت من المؤتمر الصهيوني العالمي الأول عام ١٨٩٧ ، والصندوق القومي اليهودي "الكيرن كايمت" وصندوق التأسيس اليهودي "الكيرن هايسود" والشركة الإنجليزية الفلسطينية. وبالرغم من إن المستوطنات لم تظهر بشكل منتظم خلال القرن التاسع عشر إلا في عام ١٨٧٨ ، عندما تمكن مجموعة من يهود القدس من تأسيس مستوطنة بتاح تكفا، وفي عام ١٨٨٢ ثم إنشاء ثلاث مستوطنات ، هي مستوطنة ريشون ليتسيون وزخرون يعقوب وروش بينا، ثم مستوطنتي يسود همعليه وعفرون عام ١٨٨٣ ، ومستوطنة جديرا عام ١٨٨٤ ، وفي عام ١٨٩٠ أقيمت مستوطنات رحوبوت ومشمار هيارون وبعد انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي الثاني عام ١٨٩٨ أقر قانون المنظمة الصهيونية العالمية التي أخذت على عاتقها كافة الشؤون المتعلقة بالاستيطان بعد أن وصل عدد المستوطنات الإسرائيلية الزراعية إلى "٢٢" مستوطنة، سيطرت على ٢٠٠ ألف دونم ارتفعت إلى ٤١٨ ألف دونم .

وساهم تشكيل المنظمة الصهيونية العالمية بزعامه هرتسل سنة ١٨٩٧ ، بوضع حجر الأساس للمشروع الصهيوني، حيث كان الأساس الأيديولوجي الذي اعتمده الحركة الصهيونية، منذ بدء نشاطها أواخر القرن التاسع عشر- مقولة إن المشروع الصهيوني هو عودة شعب بلا أرض إلى أرض بلا شعب" .

فعملت المؤتمرات الصهيونية العالمية بدءاً من المؤتمر الأول على تنفيذ برامجها التي تحورت حول برنامج المؤتمر الأول عام ١٨٩٧ ،" ويدعو هذا البرنامج إلى العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة، وتغذية وتقوية المشاعر اليهودية والوعي القومي اليهودي، واتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية ، فقد سعت الحركة الصهيونية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى امتلاك أكبر مساحة ممكنة من الأراضي باعتبار ذلك إحدى الركائز الضرورية لإقامة دولة يهودية على أنقاض فلسطين العربية، ولقد ساعد نظام ملكية الأراضي

الذي كان سائداً في فلسطين ومناطق أخرى من الإمبراطورية العثمانية آنذاك الصهاينة على تحقيق بعض مخططاتهم في امتلاك الأراضي الفلسطينية وتهويدها.

المبحث الثاني

مراحل الاستيطان الصهيوني في فلسطين

نشأ الاستيطان الصهيوني في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ، على عدة مراحل كان لكل مرحلة منها هدف مختلف عن المرحلة التي سبقتها ، كما كان لكل مرحلة منها الطابع الخاص بها ، والمميز لها ، ويمكن تقسيم الاستيطان الصهيوني في فلسطين إلى عام ١٩٤٨ م إلى مراحل تمت في العهد العثماني، في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، ومراحل أخرى تمت بعد إعلان قيام الكيان الإسرائيلي في ١٥/٥/١٩٤٨ م، ومستمرة حتى الآن يمكن إجمالها في المراحل التالية:

المرحلة الأولى:

مرحلة الدولة العثمانية وتحديدا منذ انعقاد مؤتمر لندن عام ١٨٤٠ بعد هزيمة محمد علي، واستمرت حتى عام ١٨٨٢ ، وخلال هذه الفترة البدايات الأولى للنشاط الاستيطاني اليهودي، إلا أن مشاريع هذه المرحلة لم تلق النجاح المطلوب بسبب عزوف اليهود أنفسهم عن الهجرة إلى فلسطين ، والتوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو الانخراط في مجتمعاتهم ، ومن أبرز نشاط هذه المرحلة اللورد شافتسبوري ، واللورد بالمرستون، ومونتفيوري واستمرت هذه المرحلة حتى بداية الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢٠ .

المرحلة الثانية:

مرحلة الانتداب البريطاني على فلسطين وحتى قيام دولة الكيان الصهيوني :- وفي هذه المرحلة بدأ الاستيطان الفعلي في فلسطين حيث تم تكثيف عمليات استملاك اليهود للأراضي الفلسطينية، وتدفق الهجرة اليهودية ، حيث شهدت هذه المرحلة الموجات الثالثة والرابعة والخامسة من الهجرات اليهودية.

المرحلة الثالثة:

وبدأت منذ إعلان قيام دولة إسرائيل وحتى عام ١٩٦٧، وفيها تمكنت الكيان الصهيوني من الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية والاستمرار في مصادرة الأراضي وإقامة المستوطنات لاستقبال المهاجرين الجدد باستمرار.

المرحلة الرابعة:

هي مرحلة التسوية السياسية وتوقيع اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣ ، حيث نشطت حركة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية واستمرت أعمال تسمين المستوطنات توسيعها وصولاً إلى إقامة جدار الفصل العنصري الذي سيطرت من خلاله الكيان الصهيوني على أكثر من ثلث مساحة الضفة الغربية.

وسوف تقتصر الدراسة على المراحل الأولى والثانية فقط باعتبارها لم تتل قسطاً كبيراً من الدراسات، فقد وقع الباحث على جملة دراسات متخصصة في الاستيطان، جُلها ركز على ظاهرة الاستيطان بعد عام ١٩٦٧ .

أولاً: الاستيطان الصهيوني في فلسطين في العهد العثماني

ترجع معظم الدراسات التي وقع عليها الباحث المحاولات الأولى للاستيطان اليهودي في فلسطين إلى جهود الثرى اليهودي منتي فيوري، الذي استطاع في عام ١٨٥٥ م أن يشتري قطعة أرض في مدينة القدس، أقام عليها في عام ١٨٥٧ ، أول حي سكني يهودي في فلسطين خارج أسوار مدينة القدس ، وهي حي مشكائوت شعنا نيم وعرف فيما بعد يمين موسى وفي عام ١٨٦٠ ، اشترى اثنان من المتوملين اليهود قطعتي أرض في فلسطين الأولى قرب أراضي قالونا والثانية حول بحيرة البرية وفي العام نفسه تم بناء أول ٢٠ مسكنة لم تشغل إلا في عام ١٨٦٢ ، وبذلك بدأت الخطوات العملية الأولى للاستيطان اليهودي في فلسطين تم بعد ذلك جمعية الهيكل الألماني برئاسة كريستوف هوفمان بعض المستوطنات في فلسطين ، وخاصة في يافا وحيفا وفي عام ١٨٧٨ ، تمكنت مجموعة من يهود القدس - بعد حصولهم على دعم من الخارج - من الاستيطان في السهل الساحلي وتأسيس مستوطنة "بتاح تكفا" على جزء من أراضي ملبس قرب يافا وقد شهدت فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى موجتين رئيسيتين من الهجرات اليهودية ، الأولى وقعت في الفترة ما بين ١٨٨٢ - ١٩٠٣ ، وقد تراوح عددها ما بين (٢٥-٣٠) ألف مهاجر واليهما يرجع الفضل في التمهيد لإرساء الأسس التي قامت عليها حركت الاستيطان اليهودي المنظم في فلسطين ، لذا فقد تم في عام ١٨٨٢ م إنشاء ثلاث مستوطنات هي "ريشون ليتسيون ، وزخرون يعقوب، وروش ليتاح" كما أنشأت في عام ١٨٨٣ ، مستوطنتان أخريان هما "يسود همعله" و"نيوز يونا" وقد أقيمت المستوطنات السابقة بأساليب التحايل مستغلين ضعف الأنظمة والقوانين ومستخدمين الرشوة للموظفين الأتراك كذلك قد تم في عام ١٨٨٤ ، إنشاء مستوطنة جديدة، غير أنها تعرضت لخسائر فادحة ولم تستطع الاستمرار لولا تدخل "أدمون دي روتشيلد" حيث أنقذ هذه المستوطنات، ومكنها من أن تقيم في عام ١٨٩٠ ، ثلاث مستوطنات أخرى هي رحوبوت ، ومشما رهارون ، والخضيرة " ، وقد عهد وريتشيلد بإدارة مشاريعه إلى المنظمة التي تدعى أيكبا، وهي منظمة الاستيطان الزراعي أسسها البارون النمساوي الأصل دي هيرش، وقد تولت هذه المنظمة العمل الاستيطاني في فلسطين وتمكنت بين سنتي ١٨٩٩ إلى ١٩٠٨ ، من تأسيس عدة مستوطنات جديدة بالإضافة إلى إعادة تنظيم مستعمرات روتشيلد ، ورغم ذلك فقد فشلت في توقعاتها وذكرت في تقرير لها عام ١٨٩٩ ، بأنه "يصعب تحويل اليهود في فلسطين إلى مزارعين ومعظمهم يعيش في حمول قاتل" .

لذلك فقد أطلق البعض على الاستيطان اليهودي خلال تلك المرحلة اسم " الاستيطان الروتشيدي "، نسبة إلى المليونير اليهودي دي روتشيلد الذي اشرف على إشادة وإدارة هذه المستوطنات وقد تولى إنشاء المستوطنات اليهودية في فلسطين خلال العهد العثماني حتى وصل عددها إلى " ٣٩ " مستوطنة يسكنها " ١٢ " ألف مستوطن تم بلغ عددها حتى عام ١٩١٤ " ٤٧ " مستوطنة (٤) منها أقيمت بدعم من المنظمة الصهيونية بإشراف مكتب فلسطين" ، وقد عمل الصهاينة على إقامة هذه المستوطنات بالتدريج ، حتى لا يلفتون إليهم أنظار العرب حيث كانوا يقيمون من مستعمرة إلى ثلاث مستعمرات سنوية وذلك خلال الفترة الواقعة بين عام ١٨٧٠ إلى ١٩١٨ .

وعلى الرغم من إن الدولة العثمانية لم ترحب في الاستيطان اليهودي في فلسطين ، إلا أن نظام حيازة الأراضي في فلسطين في العهد العثماني ، قد شاهد على إقامة تلك المستوطنات ، حيث ظهرت طبقة من ملاكي الأراضي من العرب ، وغير الفلسطينيين الذين كانت تجذبهم الأسعار المرتفعة إلى بيعها . وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية قد أصدرت في عام ١٨٨٢ ، قانونا اعتبرت بموجبه دخلوا اليهود إلى فلسطين أمرا غير قانوني ثم أصدرت في عام ١٨٨٨ ، قانونا آخر يمنع دخول اليهود (من غير سكان الإمبراطورية) إلى فلسطين ، إلا لمدة ثلاثة أشهر ، غير أن الصهيونية قد لجأت إلى رشوة موظفي الدولة العثمانية وتحاللت بطرق غير مشروعة لتهجير اليهود إلى فلسطين وتوطينهم فيها .

واستمر النشاط الاستيطاني في أواخر حقبة الحكم العثماني حيث أقيم بين سنة ١٩٠٧ وسنة ١٩١٤ " ١٥ " مستعمرة جديدة، فبلغ مجموع المستعمرات الصهيونية أربعين مستعمرة يسكنها حوالي ١٢٠٠٠ لاجئ يهودي، وبالرغم من الظروف الملائمة للاستيطان التي وفرها لهم وعد بلفور والانتداب البريطاني إلا أن معدل قدوم المهاجرين بقى في البداية ضئيلاً .

ونشطت المؤسسات الصهيونية بعد الحرب العالمية الأولى خصوصاً بعد تمكن المنظمة الصهيونية العالمية من استصدار وعد بلفور الشهير عام ١٩١٧ الذي يقضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، ثم وقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، حيث لعبت حكومة الانتداب دوراً كبيراً في تمكين اليهود من السيطرة على مساحات كبيرة من الأراضي الفلسطينية وذلك باتخاذها العديد من الإجراءات، منها فتح الأراضي الأميرية وجعلها أراضي ملكية وسن قانون أملاك الغائبين، تمكن اليهود بفضل هذه الإجراءات استملاك ٢٠٧٠٠٠٠٠ دونم بعد قيام دولة الكيان الصهيوني " وقد حرصت هذه المؤسسات على أن تكون هذه الأراضي في مناطق متباعدة من أجل توسيع رقعة "الدولة اليهودية".

ثانياً: الاستيطان في ظل الانتداب البريطاني

تعتبر مرحلة الانتداب البريطاني في فلسطين هي المرحلة الذهبية للاستيطان الصهيوني في فلسطين حيث دخلت بريطانيا فلسطين وهي ملتزمة بوعد بلفور القاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وبذلك أصبح الاستيطان اليهودي يتم تحت رقابة دولة عظمى عملت على مساندته وتدعيمه، فإذا كان الاستيطان في مراحل الأولى قد اتصف بالعشوائية، والاتجاه نحو مواجهة المشاكل التي تتعلق باليهود خارج فلسطين فإنه في هذه المرحلة خضع للاعتبارات السياسية والإستراتيجية منذ بدايتها ، حيث أقيم عدد من المستوطنات في المناطق الإستراتيجية ،

وكانت على شكل مجتمعات مغلقة تشبه "الغيتو"، معتمدة على سياسة العمل العبري لتأسيس نفسها ومشكلة نواة للوجود الصهيوني في فلسطين".

ومما لا شك فيه أن السلطات الانتداب البريطاني قد سهلت، وبمختلف الوسائل عملية نقل ملكية الأراضي الفلسطينية إلى المنظمات الصهيونية، من أجل استيطانها، من ذلك أنها قد منحت الوكالة اليهودية أراضي حكومية واسعة مساحتها (١٩٥) ألف دونم، في مناطق مختلفة من البلاد بما فيها أراضي من السهل الساحلي الفلسطيني، أعطيت لبلديات تل أبيب، وبتياح تكفا، من أجل توسيع رقعة المستوطنات فيهما، كذلك قد وضعت حكومات الانتداب البريطاني في عام ١٩٢١، (١٧٥) ألف دونم من أملاك الحكومة تحت تصرف المنظمات الصهيونية من أجل إقامة المستوطنات عليها لتوطين المهاجرين، وهو ما أدى بدوره إلى قيام ثورة ١٩٢١ م التي قمعتها القوات البريطانية بشدة حيث انضم المستوطنون الى جانب الانجليز في قمع هذه الثورة.

وقد تجددت خلال هذه الفترة عملية شراء الأراضي من بعض الإقطاعيين والتجار اللبنانيين الذين كانوا يملكون مساحات واسعة من الأراضي في شمال فلسطين، حيث انه مع صدور الكتاب الأبيض في عام ١٩٣٠، قررت المنظمة الصهيونية الإسراع في عمليات الاستيطان في المناطق التي لم يسكنها اليهود من قبل لتشمل أوسع مساحة جغرافية ممكنة في حالة حصول تقسيم لفلسطين، فأقيمت في الفترة من عام ١٩٣٦ - ١٩٣٩ "٥٣" مستوطنة كان يطلق عليها "خوما ومجدال" أي سياج وبرج وصفا للطابع العسكري لتلك المستوطنات التي تزامن إنشاؤها مع نشوب ثورة عام ١٩٣٦ الفلسطينية، حيث روعي في اختيار مواقع تلك المستوطنات أن تكون بمثابة سياج يشرف على المستوطنات الأخرى وتعمل في القوت نفسه كمناطق مراقبة بالنسبة للقرى العربية، وقد تمت معظم هكذا النوع من المستوطنات المشرفة على مرج بن عام والأطراف الشمالية للجليل الأعلى، كما ظهر اتجاه لبناء المستوطنات في مناطق معزولة وذلك لخلق شعور لدى اليهود بقابلية السيطرة على كل أجزاء فلسطين، وفي أعقاب مشروع بيل لتقسيم فلسطين ١٩٣٧، بدأ الاهتمام الصهيوني بإقامة مستعمرات في صحراء النقب - جنوب فلسطين - حيث توسعت الصهيونية في إقامة المستوطنات في تلك المنطقة، وذلك الفترة الواقعة ما بين الحرب العالمية الثانية وسنة ١٩٤٨، تحسبا لإمكانية حصول صدام عسكري مع مصر في المستقبل، حيث بلغ عدد المستعمرات المقامة في النقب بحلول عام ١٩٤٨، "٢٧" مستوطنة، لذا فإنه مما يميز السياسة الاستيطانية خلال فترة الانتداب اتجاه الحركة الصهيونية نحو توزيع المستوطنات الزراعية توزيعا استراتيجيا على حدود الدول العربية المتاخمة لها حيث أقامت "١٢" مستوطنة على حدود الأردن و"١٢" على حدود لبنان و"٨" على حدود مصر و"٧" على حدود سوريا، وقد أدخل على الاستيطان الزراعي خلال هذه الفترة نوع جديد أطلق عليه اسم "الموشاف عفوديم" أي قرية العمال، وهي قرية زراعية ذات طابع تعاوني، تقوم العائلات فيها باستغلال الأرض بالتساوي وقد انتشر هذا النوع من الاستيطان الزراعي حتى بلغ مجموع المستوطنات التي أقيمت حتى عام ١٩٤٦، "٦٨" مستوطنة يسكنها (١٨٤١١) مستوطن.

وقد تمكنت الحركة الصهيونية خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين من امتلاك ما يزيد عن ٣٠% من مجموع الأراضي الزراعية في فلسطين" ، وقد بلغت مساحة الأراضي التي يمتلكها الصهاينة مع نهاية فترة الانتداب عام ١٩٤٧، ١.٨٢ مليون دونم ، وهو ما يعادل ٦% من مساحة فلسطين ، والبالغة ٢٧ مليون دونم ، في حين كان مجموع من الأراضي عند بداية الانتداب لا يزيد عن ٢% فقط" ، فقد أشرت المنظمة الصهيونية في السنوات الأخيرة التي سبقت قيام الدولة الإسرائيلية أراضي جديدة لاسيما تلك التي تتفق ونظرتهم الإستراتيجية ، وواصلت تكثيف الاستيطان اليهودي في السهل الساحلي بين حيفا ويافا ، كما اشترت قطعاً كبيرة من الأراضي في القسم الشمالي من فلسطين وبنوع خاص في سهل الحولة ، وإلى الجنوب من بحيرة طبريا على طول نهر الأردن . وكانت هناك كذلك صفقات شراء أراضي عند مصب نهر الأردن في البحر الميت ، وعلى ضفته الغربية ، وتوسعت أملاك اليهود في منطقة القدس ، وفي ضواحي بئر السبع ، كما تم شراء المزيد من الأراضي في النقب الشمالي وفي منطقة غزة ، وقد بلغ عدد المستوطنات التي أقيمت في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٩ - ١٩٤٨ ، "٧٩" مستوطنة مساحتها الإجمالية ٢.٠٥٢.٠٠٠ دونماً" .

إذا كان الاستيطان في المراحل السابقة المشار إليها كان يهدف للإعداد لإنشاء الدولة فإنه بعد إنشائها في عام ١٩٤٨ ، اتجه إلى تحقيق أهداف أخرى تتمثل في ترسيخ القاعدة البشرية والاقتصادية والعسكرية للدولة الجديدة، وبما يخدم أغراضها التوسعية المستقبلية ، لذلك فقد كان أول عمل قامت به الحكومة الإسرائيلية (البرلمان) بتاريخ ١٩٥٠/٧/٥ م قانون العودة، والذي بموجبه يمنح كل يهودي داخل فلسطين حق الاستيطان فيها. فقد تكلفت جهود الصهيونية ومن ورائها القوى الاستعمارية بالنجاح عندما تم الإعلان عن قيام دولة الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ على ٧٧% من مساحة فلسطين التاريخية، وتمكنت الكيان الصهيوني من طرد معظم السكان الفلسطينيين بعد أن ارتكبت العديد من المذابح والمجازر وتدمير القرى والمدن الفلسطينية، وأصبح الفلسطينيون يعيشون مشردين لاجئين في البلاد العربية المجاورة في مخيمات بائسة، وما زالوا إلى الآن رغم صدور العديد من القرارات الدولية تقضي بضرورة عودتهم إلى أراضيهم، وفي المقابل فتحت أبواب الهجرة اليهودية على مصراعيها ليتدفق الكثير من اليهود من مختلف أنحاء العالم، واستمر هذا الوضع حتى حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ، والتي كانت من أهم نتائجها استكمال سيطرة الكيان الصهيوني على الأراضي الفلسطينية بعد احتلالها للضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية وقطاع غزة ، وبذلك تكون فرصة جديدة سنحت للكيان الصهيوني لمتابعة مخططات الصهيونية لتهويد فلسطين ، والتي بدأت في القرن التاسع عشر، ونعتقد أنها بداية مرحلة خامسة من مراحل الاستيطان اليهودي في فلسطين ومازالت قائمة إلى يومنا هذا، فقد تبنت الحكومات الإسرائيلية على اختلافها، منذ عام ١٩٤٨ سياسات استيطانية متجانسة ، بهدف تغيير الوضع الديموغرافي وخلق وقائع جديدة والعمل على تثبيتها ، إلا أن الممارسات الاستيطانية بعد توقيع اتفاق التسوية كانت من الشراسة بحيث حققت وقائع على الأرض ، تفوق ما قامت به الحكومات السابقة ، متجاهلة ما نص عليه اتفاق أوسلو الداعي إلى عدم تغيير الوضع القائم حيث ظل النشاط الاستيطاني بوتيرة عالية ، تجسدت بمزيد من

البناء والتوسع الاستيطاني ومصادرة الأراضي بغية تقوية التواجد الاستيطاني في محيط القدس ومناطق ما يسمى بالكتل الاستيطانية التي أعلن صراحة بوجود ضمها إلى الكيان الصهيوني .

المبحث الثالث

أولاً: الهجرة اليهودية إلى فلسطين

الهجرة اليهودية إلى فلسطين

تعد السيطرة على الأرض الفلسطينية جوهر الفلسفة التي انتهجتها الصهيونية العالمية منذ نشوء الفكرة الأولى لتوطين اليهود في فلسطين وتابعتها الكيان الصهيوني بعد قيامها حتى الآن، وقد رافق عمليات الاستيلاء على الأراضي عملية تغيير ديموغرافي، ففي جميع حالات الاستيلاء كانت تجلب أعداداً من اليهود من مختلف أنحاء العالم ، ليحلوا مكان السكان العرب الفلسطينيين، فقد تعرضت الأراضي الفلسطينية لخمس موجات متتالية من الهجرات اليهودية" ، كل موجة منها تتم عقب حدث من الأحداث الدولية والمحلية أو نتيجة خطة صهيونية موضوعة، فقد حدثت الموجة الأولى ما بين عامي ١٨٨٢ - ١٩٠٣ ، إذ هاجر نحو عشرة آلاف يهودي من روسيا في أعقاب حادثة اغتيال قيصر روسيا وما تبعها من عمليات اضطهاد لليهود هناك نتيجة اشتراكهم في اغتيال قيصر روسيا، كذلك كانت نتيجة لقضية دريفوس التي أدت لموجة من العداء لليهود في فرنسا عام ١٨٩٤ ، حيث قدرت بما يتراوح ما بين ٢٠ إلى ٣٠ ألف مهاجر يهودي.

وفي الفترة من (١٩٠٥ إلى ١٩١٨) جاءت الموجة الثانية وكانت معظم أفرادها من روسيا أيضاً وقد قدر عددهم بما يتراوح بين ٣٥-٤٠ ألف يهودي" .

انتعشت حركة الاستيطان اليهودي والهجرة إلى فلسطين بعد الاحتلال البريطاني لفلسطين والذي تلاه مباشرة صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ ، فقد أخذت الهجرات اليهودية تتوالى على فلسطين بتشجيع ودعم من حكومة الانتداب البريطاني التي أخذت على عاتقها تنفيذ مخطط التهويد ونتيجة لذلك أخذ عدد اليهود يتزايد يوماً بعد يوم.

كما ازدادت أملاكهم التي منحتم إياها بريطانيا في فلسطين وسهلت لهم طرق شرائها" ، فقد حدثت الموجة الثالثة ما بين عامي ١٩١٩ - ١٩٢٣ بعد حدوث الثورة البلشفية في روسيا، وبلغ عدد المهاجرين في هذه الموجة نحو ٣٥ ألف مهاجر وتمت الموجة الرابعة ما بين عام ١٩٢٤ - ١٩٣٢ ، حيث هاجر نحو ٦٢ ألف مهاجر بسبب قيام الولايات المتحدة الأمريكية بسن قوانين حددت من الهجرة إليها، أما الموجة الخامسة فكانت بين عامي ١٩٣٣ - ١٩٣٨ ، حيث بلغ عدد المهاجرين في هذه المرحلة حوالي "١٧٤" ألف مهاجر يهودي" ، مما رفع عدد السكان إلى ٣٧٠ ألف يهودي، فقد أخذت تتدفق إلى البلاد أفواج عديدة من المهاجرين بشكل لم يسبق له

مثيل مما أثار شعور الاستياء والغضب لدى عرب فلسطين وكان هذا أحد الأسباب الرئيسية التي فجرت ثورة ١٩٣٦ الشهيرة فقد دخل إلى البلاد، وكان هذا مع بداية عهد نازية هتلر وانتشار اللاسامية في أوروبا .

وإلى جانب الموجات السابق الإشارة إليها، كانت هناك هجرات سرية قام بها اليهود الشرقيين (السفارديم) من جهات مختلفة من اليمن والحبشة وأفريقيا الشمالية و تركيا و إيران وذلك في فترة الأربعينات، وذلك بسبب قيام سلطات الانتداب البريطاني بفرض قيود على الهجرة اليهودية تقرباً للعرب للوقوف بجانبها في الحرب العالمية الثانية، وقد بلغت حصيلة الهجرة اليهودية إلى فلسطين حتى عام ١٩٤٨ حوالي ٦٥٠ ألف مهاجر يهودي، وبعد قيام دولة الكيان الصهيوني قامت بتشجيع الهجرة اليهودية وذلك بسن العديد من القوانين مثل قانون العودة عام ١٩٥٠ ، وقانون الجنسية الإسرائيلي عام ١٩٥٢ ، فازداد عدد المهاجرين، حيث بلغ في الفترة من ١٩٤٨ - ١٩٦٧ (١٢.٠٠٧٥) مهاجراً .

كما وشهد الكيان الإسرائيلي عقب إنشائه موجات هجرة واسعة وذلك نتيجة زوال قيود الانتداب البريطاني وتولى الحكومة مسؤولية الإشراف المباشر على تنظيم موجات الهجرة واستيطانها، مما ساهم في تزايد أعداد المهاجرين، كما رافق عمليات الهجرة توسيع الاستيطان المدني والقروي، لاستيعاب هذه الهجرة ،وقد بلغ مجموع الهجرة اليهودية بين (١٩٤٨ - ١٩٦٧) حوالي (١٣٠٠٠٠٠) يهودي شكلوا الأساس البشري للكيان الإسرائيلي في فلسطين" ، وعموما أدت الهجرة اليهودية والاستيطان وترحيل العرب إلى إقامة أكبر غيتو يهودي غاصب وعنصري في العالم، أي قيام كيان غريب ودخيل استيطاني واستعماري على الأرض العربية الفلسطينية.

ثانيا: ردود الفعل الفلسطينية والعربية على الاستيطان

إدراك الفلسطينيين والعرب مخاطر الاستيطان والهجرة الصهيونية، مما اضطرهم لمواجهة المخطط الصهيوني في وقت مبكر، فقاموا بتأسيس عدد من الأحزاب والجماعات، لمقاومة الهجرة الصهيونية، فقد تأسست في بيروت جمعية تحت مسمى "الشبيبة النابلسية" والتي شكلت بدورها جمعية الفاروق، التي اتخذت من القدس مقر لها، وهدفت إلى الكشف عن الخطر الصهيوني بالمنطقة ومجاهته، ولم تحل اليقظة الفلسطينية والعربية، من تزايد الخطر الصهيوني، الذي منح دفعة كبيرة، اثر وعد بلفور عام ١٩١٧ ، الذي منح اليهود وطنا قوميا في فلسطين ، والذي كان من ابرز تداعياته دخول القضية الفلسطينية في مرحلة جديدة، وقعت على أثرها فلسطين تحت الانتداب البريطاني الذي بدء يكشف عن وجهه الحقيقي، الداعم إلى الجماعات الصهيونية والمسهل لها سبل الهجرة والإقامة، والمتغاضي عن جرائم الصهيونية واستفزاز للعرب ، وبالرغم من المحاولات الفلسطينية والعربية الممانعة للوجود الصهيوني والاستيطاني، هبات ١٩٢١ ، ١٩٣٦ وغيرها من الهبات إلا إن موقف الحركة الوطنية في

حينه، كان يراهن على إمكانية إحداث تغيير في موقف الحكومة البريطانية الداعم للمشروع الصهيوني، من جهة كما إن الأحزاب السياسية الفلسطينية في حينه كانت أحزاب عائلات متصارعة من أجل النفوذ والمكانة من الجهة الثانية، من هنا انخرقت الحركة الوطنية من حركة تعمل لأجل الشعب وضد الصهيونية والاستعمار إلى ساحة تتناقض فيها الشخصيات ذات الارتباطات المشبوهة وسامسة الأرض وكل من لدية مرض السلطة والوجاهة، ما جعل الجماهير الفلسطينية تفقد ثقتها بقيادتها، وتلجأ إلى وسائل جديدة في النضال، كان من أهم سماتها معاداة بريطانيا واعتبارها عدو، واللجوء إلى العنف المسلح، هذه الإستراتيجية الجديدة في النضال، التي اقترنت بعودة الفكر الوحدوي إلى ساحة النضال، والعودة أيضا إلى مطلب الوحدة العربية، كتعبير عن اعتراف الفلسطينيين بفشل المراهنة عن العمل الوطني المنفصل عن الأمة العربية .

فعاادت فكرة الوحدة القومية العربية، لتمثل موقع الصدارة في إطار الفكر السياسي الفلسطيني، اعتبارا من مطلع الثلاثينات، حيث شعرت الحركة الوطنية الفلسطينية بأهمية العمق العربي إبان إحداث هبة البراق .

قد تعزز هذا التوجه بإعلان تشكيل حزب الاستقلال العربي، في فلسطين أغسطس ١٩٣٢ ، على أساس مبادئ القومية العربية، حيث رأى مؤسسي الحزب، بان القضية الفلسطينية تتقاذفها الرياح والعوامل المتناقضة، منذ إن انفصلت عن القضية العربية الكبرى" ، وينسحب هذا الأمر على كافة الأحزاب العربية، التي ظهرت في فلسطين في النصف الأول من الثلاثينيات، مثل الحزب العربي الفلسطيني برئاسة جمال الحسيني عام ٣٥، وحزب الإصلاح ، الكتلة الوطنية ، حزب الدفاع الوطني، إلى حد ما" .

واثر اشتداد الثورة الفلسطينية، وزيادة التضامن العربي مع فلسطين ، اقترحت بريطانيا تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام، إلا إن هذا الاقتراح رفضه العرب، وإزاء المعارضة العربية قامت بريطانيا بإحالة القضية الفلسطينية للأمم المتحدة، والتي بدورها قررت في اجتماع الجمعية العامة عام ١٩٤٧ ، إنهاء الانتداب وتقسيم فلسطين إلى دولتين، عربية ويهودية، وفق خرائط قررت سلفا، كما وقررت تدويل القدس ، وتعاون الدولتين اقتصاديا ، وأدى قرار التقسيم بدوره إلى ثورة عارمة من قبل العرب والفلسطينيين، الذين رفضوا القرار، وعبروا عن استيائهم من الدول التي أيدت إقامة دولة يهودية على جزء من فلسطين ، وقاموا بعدد من الاحتجاجات وإعمال عنف مسلح ضد قنصليات الدول التي وافقت على القرار" .

ومن الجدير ذكره بان الواقع العربي المتردي في حينه كان من أهم العوامل التي ساهمت في إقامة الدولة الصهيونية واستيلائها على مساحات كبيرة خارج حدود التقسيم، فدول الجامعة العربية كانت تعاني حالة من الفرقة والانهيال ، وما إن دخل الجيش العربي إلى فلسطين ، بقيادة الجنرال جلوب، في مايو ١٩٤٨ ، حتى سارع الجيش العربي لنزع سلاح الفلسطينيين، وتقييد حريتهم في الحركة، منذ ذلك التاريخ غيب الفلسطينيون عن ميدان قضيتهم، وكان هذا بداية التدخل الرسمي العربي، لتوضع القضية في هايدى الجامعة العربية ، إما الحركة الوطنية الفلسطينية في حينه، فقد كانت سماتها الارتجال وغياب الرؤى ونقص الإمكانيات، مع إن

الفلسطينيين قد أبدوا في حينها بسالة في الدفاع عن مدنهم وقراهم، في وجه العصابات الصهيونية .

وإجمالاً جاءت نكبة عام ١٩٤٨ ، لتشكل صدمة كبيرة للشعب الفلسطيني، الذي أجبرته الممارسات الإسرائيلية الصهيونية الاستيطانية والقمعية والمجازر، على النزوح والهجرة إلى بلدان الوطن العربي، سوريا ولبنان والأردن، حيث نزح قرابة سبعمائة ألف لاجئ إلى البلدان المذكورة، وقد ساهمت النكبة في إجراء تحول جذري في الواقع الفلسطيني، لدرجة أضحت فيها النكبة رمزاً لجميع مظاهر التخلف والضعف الذي عانى منها الوطن العربي، من استعمار وتجزئة" .

خاتمة

تمكنت الدوائر الصهيونية منذ بداية القرن التاسع عشر بالعمل على الاستيطان في فلسطين ، مستغلة بعض الظروف السياسية السائدة في ذلك الوقت وأهمها ضعف الدولة العثمانية ثم المساعدات الكبيرة التي قدمتها بريطانيا لهذه الدوائر خصوصاً بعد انتدابها على فلسطين من إقامة العديد من المستعمرات اليهودية، والتي تطور العديد منها ليصبح مدناً كبيرة واستطاعت هذه المستعمرات من السيطرة على مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية بعد نزع ملكيتها من أصحابها الشرعيين وبطرق مختلفة مثل الشراء والمصادرة والطرده بعد ارتكاب المذابح والمجازر بحق أبناء الشعب الفلسطيني الأمر الذي أجبر معظم الشعب الفلسطيني على ترك أرضه ومنازله ليعيش لاجئاً في مخيمات البؤس والشقاء وقد واصلت هذه الدوائر إقامة المزيد من المستعمرات حتى بعد قيام دولة الكيان الصهيوني حتى الآن.

فالمستوطنات اليهودية هي بمثابة رأس الحربة في برنامج الكيان الصهيوني التوسعي القائم على فرض سياسة الأمر الواقع ، فقد شهدت حركة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية فترات مد وجزر إلا انه والي الآن يعد سياسة ثابتة لدي الاحتلال وخاصة في مناطق ٦٧، ما يؤكد عزم إسرائيل الدائب على بقاء سيادتها الفعلية في الأراضي العربية التي تحتلها، فالخرق الإسرائيلي مازال مستمر لجميع الاتفاقات الدولية الخاصة بحقوق الإنسان وخاصة قواعد القانون الدولي الإنساني، وهو إن دل على شئ فهو عدم جدية إسرائيل في عملية التسوية، وسعيها لكسب الوقت لتعزيز استيطانها بالفلسفة الصهيونية التي تنطلق منها هذه السياسة تقوم على مفهوم وسياسة فرض الأمر الواقع بالقوة، ويؤكد ذلك استمرار مضي إسرائيل في إقامة جدار الفصل العنصري وشبكة الطرق الالتفافية التي شقت بحجة الربط بين المستوطنات مع إن الغرض الحقيقي منها هو منع التواصل الجغرافي بين التجمعات الفلسطينية وعزلها في كتنونات محاصرة بالمستوطنات الإسرائيلية .

المراجع

١. إبراهيم أبراش، الفلسطينين والوحدة الوطنية منذ قيام الحركة القومية العربية حتى نكبة ١٩٤٨م ، المستقبل العربي، بيروت، العدد ٦٤، حزيران ١٩٤٨ ، ص٦٥.
٢. إميل توما الأعمال الكاملة، المجلد الرابع،معهد إميل توما للأبحاث السياسية والاجتماعية،حيفا، ١٩٩٥ .
٣. أمين عبد الله محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، سلسلة كتب المعرفة ٧٤، الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ١٩٨٤ .
٤. إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة ١٩٤٩م ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٨ .
٥. بسام محمد العبادي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين " جذورها، دوافعها، مراحلها، انعكاساتها " من ١٨٨٠ - ١٩٩٠ م ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان، ١٩٩٠ .
٦. جريس صبري: تاريخ الصهيونية (١٨٦٢-١٩٤٨) ،م.ت.ف، مركز الأبحاث ، بيروت ١٩٨١ .
٧. جون ودافيد كيميشى، الدروب السرية، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت ١٩٨١ .
٨. حبيب قهوجي، إستراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية -بيروت ١٩٧٨ .
٩. حسن عبد القادر صالح: الأوضاع الديمغرافية للشعب الفلسطيني -الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني -المجلد الأول الدراسات الجغرافية - بيروت ١٩٩٠ .
١٠. خيرية قاسمية ،الأوضاع السياسية للفلسطينيين في البلاد العربية الفلسطينين في الوطن العربي، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٨ .
١١. صلاح عبد العاطي، تقرير بحثي بعنوان الاصولية المسيحية الصهيونية الأمريكية المعاصرة، جامعة القدس أبو ديس- غزة ، ٢٠٠٦ .
١٢. صلاح عبد العاطي، بحث بعنوان الحركة السياسية الفلسطينية، حركة القومين العرب، جامعة القدس أبو ديس ، ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦ .

١٣. عادل محمود رياض، الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٧ .

١٤. عبد الرحمن أبو عرفة، الإستيطان التطبيق العملي للصهيونية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الخليل، ١٩٨١ .

١٥. عبد العزيز محمد عوض ، مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث ، ١٨٣١-١٩١٤ م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣ .

١٦. عبد القادر ياسين، الخلفية التاريخية للمقاومة العربية في فلسطين ، دار الطليعة، القاهرة، ١٩٦٩ .